العيد وشتاء الشرق ..

« مر عيد الفطر على بيتنا فما ترك فرحة ...
ونادى قريتي فلم تفتح له عينيها الكئيبتين ... »

لمن جئت وفي كفيك هذي الزهرة الحمراء
يا عيد ؟ !
لمن جئت رسول الشوق والافراح في الفجر
تلاقيك التواشيح الرقيقة والاغاريد
لمن جئت وفي عينيك هذي النشوة الخضراء
يا عيد ؟!
لامي ؟! وهي من عامين ـ امي ـ لم تخط ثوبا
ولم تفرح كأن الحزن في اعراقها يجري
لأمي ؟! وهي في عسر الحياة وبؤسها المر
تجاهد في لهيب الشمس كالسنبلة العطشى
مذ انهدئت دعامة بيتنا الكبرى
ابي الراقد من عامين في القبر
وينهش صدرها التنين ... تنهش صدرها العله
فتخبو البسمة الخضراء ... تخبو نسمة الرحمه
من الثغر ...
وتبحث في جنون الجوع افواه عن اللقمه
عن الكف التي كانت تبلّغها ... عن القبله
لمن جئت رسول الشوق والافراح في الفجر ؟!
لقريتنا ؟!
لتضحك في ثياب صغارنا وعيون نسوتنا ؟!
بلى ... قد جئت يا عيد
لتلقى الاعين الصفراء والاكواخ والذله ...
انحن المالكون الارض ؟!
عفو الارض من ادمعنا تروى
ومن آمالنا تسقى
وللسيد احمال واثمار
وقسمتنا ...
نفايات واطمار
لمن جئت ... لجرحي ... جرح شعبي ... اخوتي الثاوين في الخيمه ؟!
تموت على خيوط نسيجها رؤيا على رؤيا
طيوف الجنة الخضراء يسكر من اطايبها
غزاة دارهم ما بين غرب الارض والمشرق
غزاة يجرحون الشمس بالاحقاد ان تشرق
لمن جئت ؟!
لمن تحمل لذات المواعيد ؟ !
لمن ماتوا على الاعمدة السوداء
من ماتوا ...
وراء الظلمة العمياء ... من يحيون في القيد ؟ !

***

غدا ان رحت في كفي افراح لاطفالي
وخبز لا يمرغ جبهتي ببرودة الذله
غدا ان مزقت احزانها الصفراء قريتنا
ونوّرها الربيع كزهرة بيضاء مخضله
غدا ان زحزحت عن صدرها الاقطاع قريتنا
وسالت في شفاه الكادحين مناهل الخصب
غدا ـ واكاد المس كفه ـ ان زال عن شعبي
شتاء الموت والظلمات والتشريد
يا عيد ؟!
غدا ـ نلقاك بالعينين ... بالكفين بالقلب
ونقبل من يديك عطاءك المغموس بالحب .

مختار عبد الباقي